المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

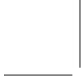
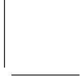
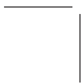
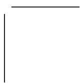
فإنا نحمد الله أن منّ علينا بالكلام على هذه «القواعد الأربع» للإمام المجدد: محمد بن عبدالوهاب ـ رحمة الله عليه ـ؛ فأهميتها بالغة، لما في ذلك من التمييز بين التوحيد والشرك.

سميت بالقواعد الأربع؛ لاشتمالها على قواعد أربع يتميز بها المؤمن من الكافر، والمشرك من الموحد، وأدلتها مأخوذة من الكتاب والسنة.

فنسأله جل وعلا أن يجعلنا من الموحدين المخلصين، وأسأله أن يثبتنا على الهدى، ويهدي ضال المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين.

✍ كتبه

عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن الراجحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال المؤلف الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»

الشَّرْحُ

بدأ هذه الرسالة بالدعاء، وهذا من نصح الإمام ـ رحمة الله عليه ـ أنه يعلمك ويدعو لك.

وتوسل إلى الله بعظمته وبربوبيته للعرش الذي هو أعلى المخلوقات، وباسمه الكريم.

أن يتولاك يا طالب العلم في الدنيا والآخرة، ويوفقك لما فيه صلاح دينك وآخرتك، ومن تولاه الله في الدنيا والآخرة سعد سعادة لا يشقى بعدها.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ»

الشَّرْحُ

أي: في عملك يجعلك مباركاً أينما كنت، وفي كل شيء في نفع الناس، وفي الجاه والشفاعة، وغيرها.

والمبارك: هو الذي يتعدى نفعه للآخرين من إطعام جائعهم، وتحمل أثقالهم وعونهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ».

الشَّرْحُ

علامات السعادة؛ إذا أصابه نعمة شكر، وإذا أصابته بلية صبر، وإذا أذنب يتوب، ويستغفر.

والإنسان يتقلب بين هذه الحالات الثلاث؛ وتفصيلُها كالتالي:

- **الحالة الأولى**: أن يكون في نعمة فعليه أن يشكرها.

والشكر يكون بثلاثة أمور: باللسان. وبالقلب. وبالجوارح.

قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

- **الحالة الثانية**: أن يكون الإنسان مبتلى بمصيبة في نفسه بمرض أو فقر، أو في ولده، أو في أهله، فيكون صابراً ولا يتجزع، ولا يتسخط، وقوام ذلك بأن يحبس لسانه عن التشكي، ويكف جوارحه عما يغضب الله ﷻ ويحبس نفسه عن الجزع، فلا يلطم خداً، ولا يشق جيباً، كما قال النبي ﷺ لآل أبي سلمة لما توفي أبو سلمة: «**لا تقولوا إلا خيرا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**»[(١)].

- **الحالة الثالثة**: أن يكون الإنسان مذنباً، فعليه الإقلاع عن الذنب، ثم الندم على ما مضى، ثم يعزم على عدم العودة والاستغفار، وأن يرد المظلمة إلى أهلها.

فالإنسان دائر بين نعمة فيشكرها، أو مصيبة فيصبر، أو ذنب فيستغفر، فإذا كان الإنسان يشكر الله على النعمة، ويصبر على المصيبة، ويتوب ويستغفر إذا أذنب، فهذه الثلاث عنوان السعادة.

(١) صحيح مسلم (٤/٤٧٨): كتاب الجنائز، بَاب ما يقال عند المريض والميت.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ»

الشَّرْحُ

قوله: «اعلم» هذا أمر من باب الانتباه، ومعناه: اجزم وتيقن ـ وهو حكم الذهن الجازم ـ أن الحنيفية ملة إبراهيم هي أن تعبد الله مخلصاً له الدين أي: مخلصاً له العبادة.

والعلم هو اليقين من غير شك ومن غير تردد.

وأما من يعلم ولا يعمل فهذا غاوي، ومن يعمل بدون علم فهذا ضال، والراشد من يعمل بعلم وبصيرة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦]».

الشَّرْحُ

الدين يطلق على العبادة، ويطلق على الجزاء والحساب.

والحنيفية وهي التي أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتبعها بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٣﴾ [النّحل: ١٢٣].

ومعناها: لا إله إلا الله، والحنيفية هي التوحيد، وهي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وهذا هو معنى لا إله إلا الله. فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله.

وكلمة التوحيد هي: عبادة الله وحده مع ترك الشرك، وهذا لا يكون إلا بالنفي والإثبات (لا إله) نفي، (إلا الله) إثبات.

فالإثبات: هو عبادة الله تعالى، والنفي: هو البراءة من كل معبود سوى الله؛ وهذا هو الإخلاص.

والإخلاص لا يكون إلا بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله ﷻ كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

والحنيفية سميت حنيفية من الحَنَف، وهو الميل؛ لكونها مائلة عن الشرك، وتسمى: الإسلام، وتسمى: الملة العوجاء، لأنها مائلة عن الشرك؛ وهي مستقيمة في نفسها.

ومعناها: أن تتقرب إلى الله بالعبادات، وتوجه جميع إراداتك لله مع الإخلاص.

بمعنى أن تخص الله بهذه العبادة وتنفيها عن غيره.

فتعبد الله بالدعاء، ولا تدعو غيره، وتعبد الله بالذبح، ولا تذبح لغيره، وتعبد الله بالسجود، ولا تسجد لغيره، فلابد من عبادة الله وحده مع الإخلاص.

وأمر الله جميع العباد بعبادته، وخلقهم لها الجن والإنس: كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]

وهذا الذي أرسلت به الرسل، وبعثت به، وأنزلت به الكتب كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]

والتوحيد هو: إفراد الله تعالى بالعبادة، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فلو صلى بغير طهارة، فلا تسمى صلاة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ».

الشَّرْحُ

والتوحيد: هو إخلاص العبادة لله تعالى، وهو إفراد الله بالعبادة، بأن لا يقع في الشرك، فإن وقع في الشرك زال التوحيد، وإذا زال التوحيد فسدت العبادة وبطلت، فالعبادة الصحيحة ما تكون إلا مع التوحيد.

العبادة لا تسمى عبادة إلا مع الإخلاص أي إلا مع الكفر بالطاغوت، وهو البراءة من عبادة كل معبود سواء الله، والبراءة منها ونفيها وبغضها وإنكارها ومعاداة أهلها.

فلو صلى إنسان فلا يسمى عابد لله إلا إذا أخلص لله العبادة، فقد يصلى لله ويصلي لغيره، ولهذا قال المشركون للنبي ﷺ أعبد إلهنا سنة ونعبد إلهك سنة، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافِرون: ١-٦].

كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا لم يتطهر لم يعد مصلياً، وكالحدث إذا خالط الطهارة لا يسمى طهارة، فلذلك فإن الشرك إذا دخل العبادة أفسدها، فإذا عرفت أن العبادة إذا دخلها الشرك بطلت وصار صاحبها من أهل النار كان لابد أن تميز التوحيد من الشرك والعبادة الصحيحة من العبادة الفاسدة.

إذا عبد الإنسان ربه ثم أشرك بطلت العبادة وفسدت، وصار من أهل الشرك والأوثان، نسأل الله السلامة والعافية، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ أعمالهم تشهد عليهم ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝١٧﴾ [التوبة: ١٧].

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبَهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ»

الشَّرْح

اذا عرفت أن العبادة إذا دخلها الشرك بطلت وصار صاحبها من أهل النار، صار وثنيا، من أهل النار المخلدين فيها، فإذن إذا تحققت من هذا، صار أهم ما عليك أن تتبين معرفة التوحيد والشرك فلا يلتبس الحق بالباطل، والتوحيد بالشرك والعبادة من غيرها، والعبادة الصحيحة من العبادة الفاسدة، لعل الله أن يخلصك ويسلمك من الشرك.

وإذا كان الشرك لا يغفره الله وصاحبه مخلد في النار، والجنة عليه حرام، فإن ذلك يوجب على المسلم العناية بهذا الأمر وشدة الحذر منه، ويمكن أن يتخلص من هذه الشبكة بمعرفة هذه الأربع قواعد التي تميز بين المشرك والموحد والتي ذكرها الله في كتابه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَهِي الشِّرْكُ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨، ١١٦]».

الشَّرْحُ

الشرك يحبط العبادة قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

فإذا كان الشرك وهو أعظم الذنوب، وأقبح القبائح، وأظلم الظلم، من لقي الله به، فإن الله لا يغفر له، وصاحبه مخلد في النار، وهذا أمر عظيم، فإذا عرف ذلك وجب عليك العناية بذلك، وأن تعرف الشرك وطرقه وذرائعه الموصلة إليه، وأن تدعو الله أن يجنبك الشرك كما قال الله تعالى عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥] أي: اجعلني في جانب، وهذه الأصنام في جانب، واجعل بيني وبينها مسافة بعيدة، والخليل هو الذي كسر الأصنام، وقاطع الناس كلهم، بقي وحده أمام هؤلاء الكفار، وقال الله عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النّحل: ١٢٠]، ومع ذلك يخاف الشرك، ويسأل ربه أن يجنبه الشرك.

قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم[١] فإذا كان إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ يخاف الشرك فمن يأمن بعده.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

• الشرك ذنب عظيم لا يغفره الله، ومن لقي الله به فإنه لا يغفر له، وأما من لقيه دون الشرك فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له، بمنه، وبفضله، وكرمه، وإن شاء عذبه بمعصيته، ولهذا أهل المعاصي دون الشرك وإن طال بقاؤهم في النار يخرجون، ولا يخلد في النار، إلا الكفرة، فمن مات على الشرك فهو خالد في النار.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ».

الشَّرْح

هذه القواعد مأخوذة من الكتاب العزيز، وبها يتميز المسلم من المشرك.

(١) أخرجه ابن جرير (١٧/ ١٧) وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٤٦).

القَاعِدَةُ الأُولَى

«أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُقِرُونَ بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]».

الشَّرْحُ

أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله واستحل دمائهم، وأموالهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، ومع ذلك استحل دمائهم، وكفرهم، وهذا التوحيد يسمى توحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله: توحيد الله بأفعال الرب وهي: الخَلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وغيرها من أفعاله سبحانه.

والدليل على إقرار الكفار بتوحيد الربوبية:

١- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ

ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يُونس: ٣١]

٢- قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥].

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧].

٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨-٨٩].

٥- قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزّخرُف: ٨٧].

فكفار قريش في زمن النبي ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام، والسبب أنهم أنكروا توحيد الألوهية، وإخلاص العبادة لله وحده: الدعاء، والذبح، والنذر وغيرها. أشركوا مع الله غيره، فيذبحون لله ويذبحون لغيره، وينذرون لله وينذرون لغيره، ويدعون الله، ويدعون غيره وهذا هو الشرك؛ ومع إقرارهم بتوحيد الربوبية كفرَّهم رسول الله ﷺ، وقاتلهم، واستحل دماءهم وأموالهم.

القاعدة : أن دخول الإسلام يشترط فيه الإقرار بتوحيد الربوبية مع الإقرار بتوحيد الألوهية وهو توحيد العبادة.

وتوحيد الألوهية: هو توحيد الله بأفعال العبد من دعاء، ونذر، وصلاة، وذبح، وركوع، وغيرها من أنواع العبادة.

● الخلاصة :

١- أن توحيد الربوبية : توحيد بأفعاله سبحانه، وأما توحيد الألوهية : فهو توحيد الله بأفعال العباد.

٢- أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول في الإسلام.

٣- أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده يحل الدم والمال والقتال كما فعل النبي ﷺ مع كفار قريش.



القَاعِدَةُ الثَّانِيَّةِ

«أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِم إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: ٣]».

الشَّرْحُ

كفار قريش في عهد النبي ﷺ يعبدون أنواعاً من المخلوقات والمعبودات، منها: الشمس والقمر، ومنها: الملائكة، والأشجار والأحجار، وغيرها. يدعونهم وينذرون لهم ويتوجهون إليهم ويقصدون طلب القربة من الله والشفاعة. ويقولون: ما دعونا الأصنام والأشجار إلا لطلب القربة والشفاعة، لأجل أنهم يقربوننا إلى الله تعالى ويشفعون لنا عنده.

ودليل ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي من دون الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] أي قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

ثم حكم الله عليهم في الآية بحكمين:

١- أنهم كذبة في قولهم؛ إنها تقربهم إلى الله، بل إنها تُبعِدُهم عن الله.

٢- أنهم كفار بهذا العمل؛ حينما يدعون الأولياء، ويذبحون للأصنام، أو الأشجار، أو الشمس، وينذرون لها. فهذا هو الشرك الأكبر، ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزُّمَر: ٣] فمن دعا غير الله، أو تقرَّب، أو نذر لغير الله، أو ركع لغير الله، فإنه كافر بنص القرآن حتى لو اعتقد أنها لا تنفع ولا تضر.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَدَلِيلَ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨]».

الشَّرْح

ودليل دعواهم أنها تشفع قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يُونس: ١٨] هل أنتم تخبرون الله بشيء لا يعلمه في السماوات ولا في الأرض، وهو سبحانه لا يعلم أن له شريكا في العبادة

فهم يثبتون الشفاعة والقربة، ولكن هذا العمل كفرَّهم الله به، وكذبهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَالشَّفَاعَةُ، شَفَاعَتَان: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّة: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّافِع مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الْإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]».

الشَّرْح

والشفاعة نوعان: شفاعة منفية. وشفاعة مثبتة.

النوع الأول: الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ وهي شفاعة باطلة منفية غير واقعة ولا يمكن أن تحصل، لأنه لا يقدر عليها إلا الله ﷻ ولا تقدر هذه المعبودات أن تشفع عند الله بدليل قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ الآية [الأنبيَاء: ٢٨].

مثال الشفاعة المنفية الباطلة: طلب الشفاعة من الأصنام، والأحجار، ومثل قول: يا علي يا حسين يا بدوي اشفع لي.

دليل الشفاعة المنفية:

١- قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

٢- قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨].

٣- قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٤٨].

٤- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٤٨].

- فمن مات على الكفر لا شفاعة له؛ إنما الشفاعة لأهل التوحيد.

النوع الثاني: الشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله. وهذه شفاعة حق.

مثال الشفاعة المثبتة: قول يا رب شفّع فيّ نبيّك. وهو موحد.

حقيقتها: أن الشافع مكرم بالشفاعة، فالله يكرم الشافع بالإذن له، وإلا فالفضل يعود لله سبحانه.

شرطا الشفاعة المثبتة:

١- إذن الله للشافع أن يشفع: فالله لا يأذن لأحد أن يشفع في أهل الكفر والشرك.

٢- رضا الله عن المشفوع له: فالله لا يرضى عن المشركين.

فبطلت الشفاعة التي يطلبها المشركون في آلهتهم. فإذا قال: يا رسول الله اشفع لي بعد موته فهذا هو الشرك، فإن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله، ثمّ إنه دعا غير الله، وكذلك فإن الرسول ﷺ ميت لا يشفع إلا يوم القيامة، ولا يشفع أيضاً إلا بعد إن يأذن الله بعد أن يسجد تحت العرش، ففي الحديث: «... **فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ**

أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ...»[(١)].

دليل الشرطين: قوله تعالى: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النّجم: ٢٦] فهذه الآية فيها الشرطان: إذن الله للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له.



(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (ذرية من حملنا مع نوح..) برقم (٤٧١٢) وفي كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم برقم (٧٥١٠)، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم برقم (٣٣٤٠)، ومسلم في كتاب الإيمان برقم (١٩٣).

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

«أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]».

الشَّرْحُ

أن النبي ﷺ بعثه الله في أناس متفرقين في عباداتهم منهم: من يعبد الأصنام، أو الأشجار، أو الأحجار، أو الشمس، أو القمر، ومنهم: من يعبد الأنبياء والأولياء، والصالحين، فكفرَّهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم، وأموالهم، وقاتلهم كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

والفتنة هي الشرك أي قاتلوهم حتى يزول الشرك، ولم يفرق بينهم، فمن يعبد الأحجار، أو الأشجار، أو الشمس، أو القمر، أو الصالحين، أو الملائكة كلهم مشركون وكلهم يقاتلون، وكلهم على باطل فكل من عبد

غير الله فهو مشرك كافر، واستدل المؤلف على هذه الأنواع.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصّلت: ٣٧]».

الشَّرح

- ودليل عبادتهم الشمس والقمر قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصّلت: ٣٧].

فنهى عن عبادتهم لغير الخالق: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟﴾.

وأمر بعبادته وحده: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عِمرَان: ٨٠]».

الشَّرْح

ودليل النهي عن عبادة الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عِمرَان: ٨٠]

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سَبَإ: ٤٠-٤١].

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: ١١٦]».

الشَّرْح

والدليل على أن هناك من يعبد الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [المَائدة: ١١٦].

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧]».

الشَّرْحُ

والدليل على أن هناك من يعبد الصالحين قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧]

يدعون من دون الله بطلب الوسيلة، وهي التقرب إلى الله بالطاعة، أي هؤلاء الصالحين الذين يدعونهم هم يطلبون القربة إلى الله بطاعته؛ فكيف يعبدونهم وهم يعبدون الله، ويطلبون القربة.

قيل: إن هذه الآية نزلت في قوم يعبدون الجن، فأسلم الجن، وبقي الذين يعبدونهم على شركهم، ولم يعلموا بإسلامهم، فأخبرهم الله قال: الذين تدعونهم موحدون، وأنتم بقيتم على شرككم، أولئك الذين تدعون أيها الإنس المشركون[١].

(١) انظر: صحيح البخاري باب قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] الْآيَةَ حديث برقم (٤٣٤٦) وتفسير سورة الإسراء، تفسير ابن كثير (٥/٨٨)

والوسيلة أي القربة يطلبون إلى الله القربة بطاعته.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النّجم: ١٩-٢٠]».

الشرح

والدليل على أن هناك من يعبد الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النّجم: ١٩-٢٠] وهي الأصنام الكبار عند العرب.

١- اللات: صنم لأهل الطائف (ثقيف) ومن حولهم وهي صخرة، وقيل هو اسم رجل يلتّ السويق للحاج بالتشديد الرجل الذي يلت السويق(١)، واللات بالتخفيف الصخرة، فلما مات هذا اللات عكفوا على قبره وعبدوه من دون الله، فصار صنماً كبيراً.

٢- العزى: شجرة في نخلة بالوادي، لقريش ومن حولهم.

٣- مناة: بنية بقديد، لأهل المدينة ومن حولهم بالساحل.

---

(١) السويق: الحب المحموص يبله باللبن، بالماء أو بالسمن.

هذه الأصنام الكبيرة ذكرها الله في قرآنه العظيم، والأصنام كثيرة حتى صار لكل أهل قبيلة صنم، بل صار لكل أهل بيت صنم يعبدونه، بل كان الإنسان في الجاهلية ما يصبر عن الأصنام ـ والعياذ بالله ـ من المشركين، إذا خرج في البرية، وذهب لا بد يأخذ معه صنما يعبده، ماذا يعمل، يأخذ الأحجار، يأخذ أحجارا ثلاثة للقدر الذي ينصبه للطبخ، يأتي بقدر، ويأتي بثلاثة أحجار، يضع القدر عليه، ثم بعد ذلك ينظر في ثلاثة أحجار، ما الأحسن منها فيأخذه له ربا يعبده،وإذا رأى حجرا ثانيا رماه وأخذ الجديد وعبده، حتى كان بعضهم إذا لم يجد شيئا يجمع ترابا، ثم يأتي بالشاة يحلبها عليه، ثم يعبده، وبعضهم يأخذ قطعة من التمر ثم يعبدها، ويعبدها ثم يأكلها، هكذا وصلت بهم الحال، نسأل الله السلامة والعافية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

«وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ» الحديث[(١)]».

الشَّرح

النبي ﷺ فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، ولما فتح مكة انصرف لقتال هوازن في حنين في الحال، وأخذ معه من أهل مكة الذين أسلموا ما يقارب ألفين جدا، أسلموا حديثا، ما تمكن الإسلام في قلوبهم.

يقول أبو واقد الليثي رضي الله عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ في غزوة حنين - غزوة حنين بعد فتح مكة - ونحن حدثاء عهد بشرك» اعتذار من هذا الصحابي يقول: نحن الآن حدثاء عهد، قريبين عهدنا بالشرك، أسلمنا من

(١) رواه الترمذي في باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم برقم (٢١٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه النسائي في الكبرى في باب قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨] برقم (١١١٢١)، وأحمد في المسند في باب حديث أبي واقد الليثي برقم (٢١٨٩٧).

قريب، ولم يتمكن الإيمان في قلوبنا، ولم يتمكن التوحيد.

يقول: «فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ» شجرة كبيرة عظيمة للمشركين، يطوفون حولها، ويعلقون بها أسلحتهم، يرجون بركتها، وهم وثنيون «ينوطون» يعني: يتبركون بها. فقال الذين أسلموا من جديد ـ أبو واقد وجماعته ـ: يا رسول الله، لو جعلت لنا سدرة نتبرك بها، كما يتبرك هؤلاء.

• الحديث يشتمل على فوائد منها:

الأولى: إنكار النبي ﷺ على الصحابة طلبهم للشرك.

الثانية: أن من طلب الشرك ولم يقع فيه لا يكون واقعاً في الشرك.

الثالثة: أن من أراد فعل الشرك وطلبه ثم زجر ونهي عنه وانتهى لا يقع في الشرك.

الرابعة: تعجب النبي ﷺ من طلبهم «الله أكبر، إنها السنن !!!».

الخامسة: أن الصحابة في طلبهم الشرك سيسلكون مسلك بني إسرائيل مع موسى عندما قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

السادسة: أن مقالة الصحابة ـ أبي واقد الليثي وقومه ـ تختلف عن مقالة بني إسرائيل، ومع ذلك جعلها النبي ﷺ

مثلها، لأن العبرة بالحقائق والمقاصد، وليست العبرة بالألفاظ.

السابعة: الشرك بالتبرك هو: اعتقاد التبرك بالشجرة، واعتقاد البركة، وأنها تنفع، وأنها كلها بركة.

الثامنة: أنه لا فرق بين المعبودات، وأن من عبد غير الله تعالى فهو مشرك أياً كان معبوده شجراً، حجراً، أو ملكاً، أو نبياً وغيرهم، ولذلك فإن المشركين لم يفرق بينهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم.

التاسعة: الرد على عباد القبور: الذين يدعون الأموات من دون الله، وينذرون لهم ويقولون نحن لا نشرك بالله نحن نشهد أن لا إله إلا الله، ونصلي، ونحج، ونزكي، فإنه يرد عليهم: بأنه ليس كل المشركين يعبدون الأوثان بل بعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم يعبد الصالحين، وبعضهم يعبد الشمس والقمر، ولم يفرق بينهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم.

العاشرة: أن الدعاء عبادة، والذبح عبادة، فإذا ذبحت لهؤلاء الأموات فقد انتقضت شهادة أن لا إله إلا لله، ويبطل الصوم، والصلاة، والحج، وجميع الأعمال.

ومثال ذلك: من توضأ فأحسن الوضوء، وتطهر ثم أحسن الطهارة، ثم نقض الوضوء وأحدث، بطلت الصلاة

والعبادة، وهم يدعو الأموات يا حسين أغثني، ويا هبل يا عبد القادر أغثني، وخذ بيدي فبطلت العبادة، والشهادتين، وفسدت الصلاة، والصوم، والحج، وجمع الأعمال، وانتقل من كونه مسلماً إلى كونه مشركاً.



القَاعِدَةُ الرَّابعةُ

«أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَالدَّلِيلُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥].

تمت وصلَّى اللَّهُ على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».

الشَّرْحُ

هذه القاعدة فيها بيان الفرق بين المشركين الأولين وبين المشركين المتأخرين ـ المقصود بالمتأخرين: في زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ ـ من وجوه:

الوجه الأول: أن المشركين الأولين أخف شركاً، والمشركون المتأخرون أغلظ وأشد شركاً مع أنهم كلهم مشركون، ولكن الشرك يتفاوت كما أن الكفر يتفاوت كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النّحل: ٨٨].

الوجه الثاني: أن الشرك يتضاعف كما أن الموحدين يتفاوتون في التوحيد والإيمان، بعضهم أقوى إيمانا وتوحيدا، فكذلك المشركون، بعضهم أشد وأغلظ شركا.

فالمشرك الذي يدعو غير الله مشرك، لكن إذا كان يدعو غير الله، ويؤذي المؤمنين، ويفتنهم عن دينهم، ويحملهم على الكفر، يكون أشد، فالمشرك الذي يقتصر شركه على نفسه، هذا مشرك، لكن شركه خفيف، لكن المشرك الذي يشرك بالله، ويؤذي المؤمنين، ويفتنهم ويجبرهم على الشرك، يكون أغلظ وعذابه مضاعف.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النّحل: ٨٨] فرق بين الذي يكفر بنفسه فقط، ولا يؤذي غيره أو يصد عن سبيل الله، وبين الذي يحمل الناس على الكفر ويؤذيهم، هذا كفره غليظ ذنبه أشد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النّحل: ٨٨].

الوجه الثالث: المشركون الأوائل: يشركون في وقت، ويوحدون في وقت إذا كان في الرخاء أشركوا، وإذا جاءت الشدة وتلاطمت الأمواج ذكروا الله فأخلصوا له العبادة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العَنكبوت: ٦٥] والدين هو العبادة.

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

الوجه الرابع: أن الأولين يعبدون إما نبياً، أو صالحاً، أو شجراً، أو حجراً يسبح الله.

وأما المتأخرون فزادوا عليهم فصاروا يعبدون كفاراً أو فساقاً.

فالذي يعبد الفاسق أو الكافر أشد وأغلظ ممن يعبد الأنبياء والصالحين.

- **الخلاصة:**

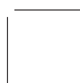
لابد من التوحيد في كل حال، ولا بد من التوبة من الشرك، والندم، والإقلاع، أما إذا كان يوحد في وقت ويشرك في وقت فإنه لا يكون موحداً.

- **فائدة:**

من ضبط هذه القواعد الأربع تبين له الشرك من التوحيد.





الخلاصة للقواعد الأربع

القاعدة الأولى: بيان أن المشركين يوحدون الله بأفعاله، وربوبيته، ولكن لم يوحدوا الله تعالى بأفعالهم فكفرهم الله تعالى.

القاعدة الثانية: أن المشركين حينما عبدوا الأصنام، والأشجار، أو الملائكة، أو الصالحين مقصدهم القربة والشفاعة لا يعتقدون أنهم يخلقون، أو يرزقون؛ بل مقصدهم أنهم لهم جاه عند الله؛ فهي تقربهم وتشفع لهم عند الله كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

وهذا القصد الذي قصدوه هو الشرك بعينه جعله الله شركاً أكبر، وهذه مقاصد أهل الشرك ممن يدعون أهل القبور من المتأخرين، وهي مقالة المشركين الأولين.

القاعدة الثالثة: أن المعبودات مهما تنوعت واختلفت، فحكمها واحد ويعمها اسم واحد وهو أنها كلها باطلة، وكل من عبد غير الله من المخلوقات فهو مشرك.

القاعدة الرابعة: أن المشركين المتأخرين أغلظ، وأشد وأقبح شركاً من الأولين (المتقدمين)، لأن المتقدمين يشركون في وقت ويوحدون في وقت، ويعبدون أنبياء صالحين، وأحجاراً وأشجاراً، تسبح الله والمتأخرون يشركون في جميع الأوقات، والمتأخرون زادوا عليهم في عبادة الأصنام، والأحجار فعبدوا كفاراً وفساقاً.



فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة